مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٦: ١٠–١٧)

يا إخوةُ تقوَّوا في الربِّ وفي عزَّةِ قدرتِه* إلبَسوا سلاحَ اللهِ الكاملَ لتستطيعوا أن تقِفوا ضدَّ مكايدِ إبليس* فإنَّ مصارعتَنا ليست ضدَّ دمٍ ولحمٍ بل ضدَّ الرئاساتِ، ضدَّ السلاطين، ضدَّ ولاةِ العالم، عالمِ ظلمةِ هذا الدهر، ضدَّ أجنادِ الشرِّ الروحيَّة في السماويَّات* فلذلك احمِلوا سلاحَ اللهِ الكاملَ لتستطيعوا المقاومةَ في اليومِ الشريرِ حتى إذا تمَّمتُم كلَّ شيءٍ تثبُتون* فاثبُتوا إذاً ممنطِقينَ أحقاءَكم بالحقِّ ولابسينَ درعَ البرِّ* وأنعِلوا أقدامكم باستعدادِ إنجيلِ السلام* واحمِلوا عِلاوةَ على كل ذلك ترسَ الإيمان الذي به تقدِرون أن تُطفِئوا جميعَ سهامِ الشرِّيرِ الملتهبة* واتَّخذوا خوذةَ الخلاصِ وسيفَ الروحِ الذي هو كلمةُ الله.

الجهاد الروحي

«فإنّ مصارعتنا ليست ضدَّ دمٍ ولحمٍ بل ضدَّ الرئاسات، ضدَّ السلاطين، ضدَّ ولاةِ العالم، عالمِ ظلمةِ هذا الدهر، ضدَّ أجنادِ الشرِّ الروحية في السماويّات» (أف ٦: ١٢). كثيرون من أبناء الكنيسة المؤمنين لا يُولون الجهاد الروحي أهميّة كبيرة، كأنهم غير واعين مدى خطورة هجمات الشيطان التي يشنها علينا بطرقٍ متنوعة. مقطع الرسالة الذي نقرأه هذا الأحد يشدّد على إلزامية الجهاد الروحي بالنسبة للمؤمن. يستجلب فيه بولس الرسول صوراً من الحرب المادية المنظورة حتى يجسِّد لنا الحرب الروحية غير المنظورة بشكل واضح. هذه الرسالة نقرأها في خدمة رسامة الرهبان لأن الراهب الذي يكرِّس نفسه للرب يدخل في ميدان جهاد مستمر حتى يظفر في الحرب غير المنظورة، لذلك بقيت جهادات النسّاك والرهبان والمكرَّسين مصدر إلهام للمؤمنين المجاهدين في وسط العالم.

بعد أن أعطى توجيهاته لأهل أفسس، الزوجات والأزواج، الأبناء والآباء، العبيد والسادة، يشرح بولس الرسول للجميع كيف يجب أن نواجه الشيطان. البداية تكون بالإتكال الكلي على الرب لأنه هو الذي يقوّينا ويمنحنا الغلبة، ونحن بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٥). بيدَ أن الإتكال على الله ليس فقط كلاماً، كما أن القوة الممنوحة منه للمتكّل عليه يتلمسها المؤمن في مراحل كثيرة من حياته. إن المؤمن يتقوّى في الرب عندما يلبس سلاح الله الكامل الذي ينجّينا من مكائد إبليس. يتكلّم الرسول عن «مكائد إبليس» لأنه يعي تماماً أن الشيطان هو الكذّاب وأبو الكذّاب (يو ٨: ٤٤). فهو لا يحارب علانيةً لكنه يواجهنا بالمكائد والإحتيال والخداع والكمائن وهذه كلّها أخطر من الحرب العادية لأنك لا تتوقعها. من أبرز مكائد الشيطان التخفّي وإظهار الصراع معه على أنه غير واقعي. بهذه الطريقة يتهاون أبناء الكنيسة في جهادهم لأن الشيطان يبعد عنهم الشعور بالخطر كما فعل مع آدم وحواء حين اقنعهما أن مخالفة وصية الباري لن تجلب عليهما الموت (تك ٣: ٤).

كلُّ محارب يتعلّم أن بداية الطريق

العدد ٤٨/٢٠١٠

الأحد ٢٨ تشرين الثاني

تذكار الشهيد في الأبرار استفانوس الجديد والقديس الشهيد إيرينرخُس

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الخامس

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٨–٢٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ مجرِّباً له وقائلاً أيُّها المعلِّمُ الصالحُ ماذا أعملُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال له يسوعُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله. إنَّك تعرفُ الوصايا لا تزنِ، لا تقتُل، لا تسرِق، لا تشهَدْ بالزور، أكرِمْ أباك وأمَّك* فقال كلُّ هذا قد حفِظتُه منذ صبائي* فلمَّا سمِع يسوعُ ذلك قال لهُ واحدةٌ تَعوزُك بعدُ. بِعْ كلَّ شيءٍ لك وَوَزِّعه على المساكين فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمعَ ذلك حزِنَ لأنَّه كان غنيًّا جدًّا* فلمَّا رآهُ يسوعُ قد حزِنَ قال ما أعْسَرَ على ذوي الأموالِ أن يدخلوا ملكوتَ الله* لإنَّه لأسهلُ أن يدخُلَ الجَمَل في ثَقبِ الإبرةِ من أن يدخلَ غنيٌّ ملكوتَ الله* فقال السامِعون فمَن يستطيع إذاً أن يخلُصَ* فقال ما لا يُستطاعُ عند الناسِ مُستطاعٌ عند اللهِ.

تأمل

... يحتجّون بأنّي أعنّف الأغنياء على الدوام. نعم، إلى الإنتصار تكون في معرفة العدو إذ إن أكبر عدو للإنسان هو ما يجهله. هذا حدا بالرسول أن يشرح للمؤمن من هم أعداؤه قبل أن يعلّمه كيفية المواجهة. الرئاسات والسلاطين وولاة عالم الظلمة وأجناد الشر الروحية في السماويات، كلُّ هؤلاء الملائكة الأشرار لا يذكرهم بولس الرسول لإخافتنا أو لإحباط عزيمتنا، بل ليوضح لنا طبيعة الأعداء وكثرتهم وأساليبهم الملتوية في القتال، وليحثنا على أن نكون دائمي اليقظة الروحية. أما قوله أن أجناد الشرّ الروحية هم في السماويات فيدلّ على أن الشياطين هم أرواح موجودون في السماويات أي في العالم غير المنظور، وأن صراعهم معنا ليس من أجل الأمور المادية مثل المال والممتلكات، بل من أجل حرماننا من الملكوت ومن المجد الإلهي. يسمّيهم بولس الرسول أيضاً «ولاة العالم، عالم ظلمة هذا الدهر»، وكان يسوع قد استخدم كلاماً مشابهاً عندما قال: «الآن يُطرحُ رئيسُ هذا العالمِ خارجاً» (يو ١٢: ٣١). إن الشيطان هو رئيس العالم الذي تسود عليه الخطيئة، وبدورها الخطيئةُ تجعل العالم مظلماً.

لقد أتى الرب يسوع الذي هو نور العالم (يو ٨: ١٢) ليبيد الخطيئة وليقيّد الشيطان، غير أن الخلاص الذي حققه لا يتذوّقُه إلا من يتجاوب مع دعوة الرب ويحيا بحسبها، لذلك يدعونا الرسول لحمل سلاح الله الكامل حتى نستطيع المواجهة. سلاح الله الكامل يساعدنا لنتغلّب على أهوائنا وعلى تجارب الشيطان المتنوعة وعلى كل الخطايا التي تستعبدنا، كما يجعلنا نثبت في كلِّ صلاح دون أن نتزعزع. يبقى السؤال: كيف نحمل سلاح الله وما هو هذا السلاح؟ يجيبنا الرسول داعياً إيانا لنمنطق أحقاءنا بالحق، أي لنتزنَّر بالحق. كلُّ مَن يعاني من أوجاع وانحناء في ظهره يصف له الطبيب زنّاراً طبيًّا ليساعده على الإستقامة. كذلك يرمز وضع الزنّار إلى التأهّب والإستعداد للإنطلاق. إذاً نحن مدعوون أن نثبت في استقامة الإيمان والأعمال لنكون مستعدين دائماً لمواجهة التجارب. إنّ مَن يمتلك الحق يثبت فيه دون تزعزع كما يقول الكاهن عندما يلبس زنّار بدلته الكهنوتية: «تبارك الله الذي يمنطقني قوَّةً، ويجعل طريقي بلا عيب، مقوِّماً رجليَّ كالأيل»، مستشهداً بذلك بالنبي حبقوق (٣: ١٩)، في حين أن الأشرار الكذّابين هم دائماً دون ثبات ويتزعزعون بسرعة: «ليس كذلك الأشرار، لكنهم كالهباء الذي تذرّيه الريح» (مز ١: ٤). بالإضافة إلى زنار الحق، يستخدم المؤمن البرّ كدرع له يقيه من كلِّ شرٍّ متربِّص به لأنّه يواجه الشر بالصلاح والخير: «لا يغلبنَّك الشرُّ، بل اغلب الشرَّ بالخير» (رو ١٢: ٢١).

عندما يتمنطق بالحق ويلبس درع البرّ، لا يستطيع المؤمن إلا أن يفتكر بالآخرين ولذلك يهيّء قدميه بالإستعداد للبشارة بالسلام الذي حقّقه الربُّ يسوع حينما صالَحنا مع الله.

كيف يتحدّث الرسول عن السلام بعد كل هذا الكلام عن الحرب. إن الحرب مع الشيطان واقعة لا محالة، لكن السؤال هو هل نستسلم له من خلال استسلامنا لأهوائنا وخطايانا والتجارب المتنوعة، أم نستعد للمواجهة بسلاح الله الذي

لكن ليس جميع الأغنياء بل أولئك الذين يستخدمون غناهم بشكل خاطئ. لا أعنّف الغني بل السارق؛ الغني شيء، والسارق شيء آخر. فلنميّز الأشياء لكي لا نخلق فوضى وسوء فهم. هل أنت غنيّ؟ لا أمنعك. هل تخطف؟ أستهجنك. لديك أملاك؟ إفرح بها. هل تأخذ أشياء ليست لك؟ لا استطيع السكوت. هل تريد رجمي بالحجارة؟ إنّي مستعدّ لأن أهرق دمي. يكفي أن أوقفك عن الخطيئة.

الفقراء والأغنياء هم أولادي؛ مَن يريد فليرجمني بالحجارة، ومَن يريد فليكرهني، ومَن يريد فليعمل لموتي.

إذاً، إن الغِنى خائن، خائن وهارب وقاتل؛ هناك حيث لا تتوقع، يرحل عنك ويتركك ويدمّرك. أتريد الإحتفاظ به حقاً؟ لا تخبّئه بل وزّعه على الفقراء؛ الغِنى وحش إن خبّأته يهرب وإن وزّعته يبقى؛ وزّعه لكي يدوم ولا تخبّئه لكي لا يهرب منك.

«أين هو غِناكم؟»، سأسأل أولئك الذين كان لديهم الغنى وفقدوه، وسأسألهم ليس لكي يقاتل عنا أعداءنا إن نحن اتكلنا عليه؟ أما سلام الله فهو نعمةٌ تُعطى لكلّ المجاهدين بعد أن يتحرروا من ضغط الأهواء، وهو مكافأة الإنتصار في الحرب غير المنظورة، وهذا السلام يبشّر به كلُّ مَن يتذوقه.

في الأخير يوضح الرسول بولس أن على المؤمن أن يحمل ترس الإيمان. الترس هو الذي يحمي كلّ الجسد، والإيمان بالله هو الإتكال عليه ووضع الثقة المطلقة به. إن شمشون الجبار في العهد القديم لم تكن قوّته مخبّأة في شعره، بل كان شعره علامة للعهد الذي قطعه مع الله وللتكريس الكلّي له وهذا كان مصدر قوّته الحقيقي. شمشون لم يفقد قوّته لأنه قصَّ شعره بل لأنه نكس عهده مع الله، فكل مَن أراد أن يظهر قوياً في الميدان لا يستطيع أن يضعف إيمانه. بالإضافة إلى ترس الإيمان يضع المجاهد على رأسه خوذة الخلاص، أي يفكّر بموضوع خلاصه بشكل جدّي ويضع هذا الموضوع دائماً نصب عينيه، الأمر الذي يمنع أفكاره من التشتت في مواضيع غير مفيدة. أما السيف الروحي الذي يفصل فيه المجاهد بين الحق والباطل فهو كلمة الله التي يقرأها في الكتاب المقدّس والتي يلهمه الروح القدس في تفسيرها واستخدامها بما يتناسب مع كل حالة يواجهها.

تدعونا رسالة بولس اليوم إلى عدم الاستخفاف بالجهاد الروحي لأن الكسل الروحي يقود إلى خطايا أخرى. فلننتبه لأننا عندما لا نجعل لله مكانة في حياتنا، سنخصّص مكاناً لأمور أخرى قد تؤدي بنا، بالرغم من نوايانا الحسنة، إلى اقتراف الخطايا.

الشهادة

كثيراً ما نسمع عن قديسين معترفين وآخرين شهداء وغيرهم نسّاك، فنتساءل عن معنى كلّ فئة من هذه الفئات، وفي بعض الأحيان نمزج بين المعنى الأرضي والمعنى الكنسي لها، ومن المواضيع التي يختلط علينا الأمر بها معنى الشهادة. فماذا يعني أن يكون القديس شهيداً؟ وهل الشهادة هي فقط شهادة دم؟ وكيف يمكن في أيّامنا هذه أن نكون شهداء؟

إن لكلمة (Martiros) اليونانيّة، قاموسيًّا، معنيين: شاهد وشهيد، الأول هو مَن يشهد أمراً ما أو لأمرٍ ما، والثاني هو مَن يموت دفاعاً عنْ قضيّةٍ إمّا دينيّة أو وطنيّة أو غيرِ ذلك من المفاهيم الشعبية. إلاّ أنّ هذين المعنيين، مسيحيًّا، مرتبطانِ ارتباطاً وثيقاً أحدُهما بالآخر، إذ إنّ الذي يشهد للمسيح يصبح شهيداً له بشكل من الأشكال، والشهيد يشهد للمسيح بموته كونه مات لأنه رفض التخلي عن إيمانه بالرب.

نأخذ مثالاً على ذلك الشهيد يعقوب الفارسي المقطّع الذي نعيّد له في ٢٧ تشرين الثاني. لماذا قُطّع هذا الشهيد؟ في سيرة حياته نقرأ أنه كان من الأشخاص المهمّين جداً في قصر الشاه الفارسي، وقد اعتاد يعقوب على حياة الرفاهية التي أمّنتها له حياته المهنيّة، حتى وصل به الأمر، في يوم من الأيام، إلى أن ينكر عبادة الله ويذبح للأوثان نزولاً عند رغبة الشاه وخوفاً من خسارة المجد الأرضي الذي وصل إليه. لكنه رجع إلى إيمانه بعدما أرسلت إليه أمّه وزوجته رسالة لوم، فبكى كثيراً ثم جاهر بإيمانه أمام الشاه الذي

أهينهم ولا لكي أنكأ الجراح، بل كي أجعل غرقهم مرفأ خلاصكم، حتى تُدركوا أنّ ذاك الذي هو غنيّ اليوم يصبح فقيراً غداً، لذلك ضحكتُ مراتٍ كثيرة عندما قرأتُ الوصايا التي كانوا يكتبونها: «ليملك فلان السلطة على الحقول أو البيت، ولكنّ حقّ استعماله يعود إلى شخص آخر»؛ لكننا جميعاً لدينا الاستعمال ولا أحد لديه السلطة. وإن بقينا أغنياء طيلة حياتنا، فعندما نموت أردنا أم لم نرد، فإننا سنتخلّى عن ثرواتنا للآخرين. نرحل إلى الحياة الأخرى عُراةً بما أننا كنّا لسنواتٍ عديدة نستعمل الغِنى فقط ولسنا أسياداً له.

هل تعرفون مَن هم الذين يملكون السلطة على الثروة في الحقيقة؟ كلّ الذين يحتقرون استعمالها ويسخرون من الملذّات، كلّ الذين يقسّمون أموالهم ويوزّعونها على الفقراء، يجعلون استعمالها جيداً ويرحلون من هذا العالم أغنياء حقاً، أغنياء بالأعمال الصالحة ومحبة الله و نعمته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

تعجّب من تغيُّره الفجائي، وأمر أن يُعذّب حتى الموت، فكان أن قُطِع جسده إبتداءً من أصابع يده وصولاً إلى رأسه، ومع كل ذلك لم يُنكر المسيح ومات شهيداً عن إيمانه.

نجد في أيامنا هذه أمثلة، ولو قليلة، عن هذا النوع من الشهادة، أمثال بعض الكهنة أو المبشّرين الذين يُقتلون في سائر أنحاء العالم بسبب عملهم التبشيري لمجرد أنهم مسيحيون. لكنّ هناك نوعاً آخر من الشهادة، أي الشهادة غير الدموية، فكيف يمكن أن يكون الإنسان شهيداً وهو على قيد الحياة؟

نحن، خلال حياتنا في هذا العالم، نخسر يوميًّا عدّة فرص يمكننا أن نصبح من خلالها شهداءً أحياء؛ فكم من مرّة يطلب إلينا أحد الإخوة أن نساعده في أمر ما نعرف أنّنا نستطيع القيام به، ونرفض متعلّلين بأسباب متعدّدة؟ كم من مرّة نطلب من الآخرين القيام بأمر نحن أنفسنا لا نقوم به؟ كم من مرّة لا نقتل الشهوات التي في داخلنا، أي النميمة والثرثرة والسخرية والتسلّط على الآخرين وغيرها من الأمور التي تزعج الإخوة الذين يعيشون حولنا، وفي الكثير من الأحيان تقتلهم روحيًّا؟ هل فكّرنا يوماً في أنّنا نجعل من أنفسنا مجرمين بدلاً من أن نساعد الآخرين على العيش بطريقة أفضل؟ هل فكّرنا مرّةً أن نقتل أهواءنا ورغباتنا الرديئة بدلاً من إشباعها من الدم الذي يتساقط من أرواح إخوتنا الذين نتسبّب يومياً بأذيّتهم «بمعرفة أو من دون معرفة، بالقول أو بالفعل أو بالفكر»؟ يمكننا أن نكون شهداء عندما نميت هذه الأهواء المعشّشة في قلوبنا، نحبّ مَن هم حولنا محبّة صادقة لا مصلحة فيها، محبّة كمثل محبّة المسيح الذي بذل نفسه عمّن يحبّهم.

عودةً إلى سيرة الشهيد يعقوب الفارسي، فإنّ غالبيّتنا تواجهنا عدّة تجارب أقواها تجربة حبّ الظهور والمجد الشخصي إضافةً إلى حبّ المال. هنا تظهر جليًّا قابليّتنا للشهادة أو للخضوع لمجد هذه الأرض. نحن نسمع دوماً الناس يشتكون من سوء أمانة بعض الأشخاص في وظائفهم وكيف يفعلون كلّ ما يستطيعونه لكي يظهروا أهمّ من غيرهم، أو لكي يجنوا مالاً أكثر حتى ولو بطرق غير شرعية، فينسوا الله وتعاليمه ويذهبون خلف مصالحهم الشخصية. الإنسان المسيحي مطلوبٌ منه أن يغلّب المسيح الذي لبسه في المعمودية على كل شيء آخر، لذلك يعيش المسيحي الحق كشهيد طوال أيام حياته، حتى من دون أن يراق دمه.

في النهاية، دعونا نقتل الأهواء التي في داخلنا، التي تحاربنا وتحارب مَن حولنا من خلالنا، دعونا نموت عن الخطيئة، جاعلين المسيح المتجلّي في وجوه إخوتنا هو الأولوية، وهكذا نصبح شهداء ومنارةً تعكس نور المسيح إلى الجميع.

تذكار البار بورفيريوس الرائي

بمناسبة تذكار أبينا البار بورفيريوس الرائي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ١ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٢ كانون الأول في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.